الحـــــداد

حـــداد

المصدر : ستوديو بوشهري .

تعـتبـر "الحـدادة" من أهم الحـرف القـديمة في الكويت نظراً لحاجة السكان للمنتجات المصنوعة من الحديد وذلك لاستخداماتها الكثيرة في المنازل والدكاكين وفي الحرف المختلفة. وكان هناك سوق خـاص للحـدادين وهو من أقـدم أسـواق الكويت ويتكون من عـدد من الأزقـة التي تحـتـوي على محلات يزيد عددها على الأربعين محلاً تصنع فيها المنتجات الحديدية المختلفة وخـاصـة منهـا المسـاميـر الكبـيـرة المسـتـخـدمـة في صناعـة السفن. ويعمل في محل الحدادة عادة ما لا يقل عن ثلاثة أشخاص هم الأسـتـاد والضـرّاب والنفّـاخ، ويشـرف الأسـتـاد على عـمـاله ويشاركهم في العمل. وتتلخص مسـؤولية الضـراب بضـرب قطع الحديد بعد إخراجها من الفرن (الكور) لتشكيلها حسب الطلب بينما يُشعل النفاخ جهازه "المنفاخ" لتوجيـه الهـواء المضـغـوط نحـو الكورة لزيادة اشتعالها وتوجيه نارها نحو قطعة الحديد. ويكون الضرّاب عادة قوي البنية بينما يعمل على المنفاخ صغار السن من الصبيان الذين يبدأون حياتهم العملية بهذه المهنة. ويتقاضى النفاخ أجرة يومية

قدرها بيزتين بينما يتقاضى الضراب آنتين، ويصل دخل الحداد حوالي روبية في اليوم. ويقف الأستاد والضرّاب متقابلين كل منهما في حفرة يصل عمقها إلى مستوى الركبة، وأمامهما السندانة التي توضع عليها قطعة الحديد المراد تصنيعها لضربها بالمطارق الكبيرة بعد إخراجها من "الكور" وقد احمر لونها من شدة الحرارة. ويمسك الضرّاب مطرقته الكبيرة بيديه ليهوي بها على قطعة الحديد الموضوعة على السندانة بينما يمسك الأستاد تلك القطعة "بالجلابتين" بيد ويضربها بمطرقته الأصغر حجماً بيده الأخرى. ويعتمد الحداد على خبرته التي يكون قد اكتسبها أباً عن جد بالإضافة إلى قوة عضلاته وتحمله لمشقة العمل الذي يتطلب منه مواجهة النار طوال فترة العمل، واستخدام المطرقة - وهي أهم الأدوات التي يستخدمها في عمله - بطريقة فنية محكمة [1].

وتتكون عدّة الحداد أساساً من المطارق، وهي ذات أحجام مختلفة وكذلك "الجلابتين" وهي أيضاً من عدة أنواع، وتستخدم لمسك القطع الحديدية أثناء طرقها لتشكيلها، بالإضافة إلى المنقاش والسندانة والمفراص والمحواش الذي ينبش به الفحم ليتخلله الهواء، والمقطاع الذي يقطع به الحديد، والمبرد والقلم، والصمبة التي تستخدم لثقب قطعة الحديد عند طرقها بالمطرقة، وتصنع معظم هذه الآلات من الفولاذ. ويستخدم الحداد أيضاً في عمله بعض القوالب منها ما يسمى (القبة) وهو القالب المستخدم في صناعة رؤوس المسامير المستخدمة في صناعة أبواب المنازل والذي يسمى "المسمار المقبب". كذلك لا يستغني الحداد عن الكور وهي عبارة عن فرن أو تنور خاص مستطيل الشكل يبلغ طوله حوالي ٣٠سنتيمتراً وعرضه ٢٠سنتيمتراً ويتراوح عمقه ما بين ٨٠ سنتيمتراً إلى متر واحد. ويوضع بالكور الفحم الحجري المشتعل ويسلط عليه الهواء المضغوط بواسطة المنفاخ اليدوي[2]. ويصنع المنفاخ من جلد الأغنام ويشبه القربة وله مسكتان من خشب يتم فردهما إلى الخارج لإدخال الهواء بالمنفاخ، وعند ضغطهما لإعادتهما إلى الوضع الطبيعي يتم طرد الهواء إلى الخارج فيتوجه بقوة إلى الكور من خلال فتحة المنفاخ. وتوضع قطعة الحديد المراد تشكيلها في الكور

السندانة

المصدر: متحف الكويت الوطني.

(١) من مقابلة مع السيد حسين علي الموسى الحداد.

(٢) من مقابلة مع السيد صالح علي الحداد.

وتوجه إليها النيران إلى أن تلين أو تنصهر ليتمكن الحداد من تشكيلها وصنع القطعه المطلوبة منها، حيث توضع بعد ذلك على السندانة لطرقها وتشكيلها حسب الطلب.

وينتج الحداد منتجات كثيرة تستخدم في مختلف مناحي الحياة. ومن أهم مستخدمي منتجات الحدادين أصحاب الحرف والمهن المتنوعة ومنهم القلاليف والنجارون والصفافير والقصابون والبناؤون والبحارة وأصحاب الدكاكين وبائعو السمك والخضار وغيرهم، وينتج الحداد لهؤلاء أساساً العدة التي يشتغلون بها؛ فمثلاً يقوم الحداد بإنتاج عدة القلاف كالجدوم والشاكوش والمجدح والمنقر بالإضافة إلى الباورات والأحجام المختلفة من المسامير التي تستخدم في صناعة السفن والتي تتراوح أطوالها ما بين ٢٠ سنتيمتراً إلى متر واحد، وتختلف أحجام وأشكال هذه المسامير حسب استعمالاتها في السفينة فمنها ما يسمى "بوفتر" ومنها "بوشبر" و "المغلطاني" و "الجاوية"[١]. كما تختلف أحجام الباورات أيضاً حسب حجم السفينة، فالبوم السفار الكبير يحتاج إلى باورة تتناسب وحجمه بينما تحتاج أبوام القطاعة والغوص والصيد إلى أحجام أصغر من الباورات. كما يصنع الحداد عدة الصفار ومنها المطرقة والسندانة والمنقاش وكذلك عدة البناء وهي الهيب والجدّوم والمطارق والفؤوس بالإضافة إلى احتياجات النجارين والمواد التي يستخدمونها في عملهم كالبتّات والجلاليب ومسامير الأبواب المقبّبة التي كانت تستخدم بكثرة في الماضي. كما أن هناك منتجات أخرى يقوم الحداد بصناعتها منها السلاسل والحلقات والأسياخ والكلبجات ومحماس القهوة والملمص[٢]. ويصنع الحداد أيضاً المعايير المستخدمة للوزن في المحلات التجارية، وكانت البلدية تزود الحدادين بختم خاص (مهر) يتم ضربه على المعايير فتنطبع الكتابة عليها. وكانت المعايير تشمل الأوزان ابتداء من ثُمن الوقية إلى خمسة آواق[٣]. أما المعايير الثقيلة - زنة المَنْ ونصف المن والهندر- فكانت تستورد من الهند[٤]. ومن الصعب حصر منتجات الحداد التي كانت تغطي الكثير من احتياجات المجتمع القديم في مختلف المجالات.

أما المواد الخام التي يستخدمها الحداد فهي أساساً الحديد والفحم الحجري والكيروسين. ويأتي الفحم الحجري في شلفان[٥] كبيرة من الهند وإيران وافريقيا ويجلب بالأبوام السفارة بينما يجلب الكيروسين في علب معدنية من عبادان بالدوب والأبلام، ويزن شليف الفحم الحجري هندراً واحداً (حوالي ٥٠ كيلو

---

(١) الفترْ والشبر مقاييس يدوية بدائية كانت تستخدم في الماضي، والأول يبلغ طوله المسافة ما بين طرف أصبع السبابة إلى طرَف أصبع الإبهام ، والثاني المسافة ما بين طرف الإبهام إلى طرف الخنصر. أما المغلطاني فهو مسمار متوسط الطول بينما الجاوية هو مسمار طويل جداً يبلغ طوله حوالي متر واحد، ويبيع الحداد هذه المسامير بالوزن للقلاليف لاستخدامها في صناعة السفن.

(٢) من مقابلة مع السيد صالح علي الحداد.

(٣) من مقابلة مع السيد حسين علي الموسى الحداد.

(٤) المن يساوي ١٦٨ رطلاً والهندر يساوي ١١٢ رطلاً (حوالي ٥٠ كيلو جراماً).

(٥) "الشلفان" جمع "شليف" وهي أكياس كبيرة من الخيش.

غرام) وبياع بروبية واحدة. وكان معظم الحديد الذي يصل الكويت لاستخدام الحدادين في بداية القرن الماضي عبارة عن قطع من السكراب مختلفة الأحجام والأشكال كانت تجلبها الأبلام من منطقة تسمى (سلْوِجْ) في عبادان، كان يتم جمع وبيع الحديد المستعمل فيها. وكلمة سَلْوِجْ هذه مشتقة من كلمة "Ssalvage" الإنجليزية وتعني "البقايا"، كما كان يتم جلب الحديد السكراب من السفن والدوب المعطوبة التي كانت تترك على شاطئ منطقة بنيد القار حيث يتوجه البعض إلى هناك لقطع حديدها وتحميله على ظهور الحمير لبيعه إلى الحدادين في السوق[1]. ويذكر أن ذلك الموقع كان يضم عدداً من السفن الخشبية والدوب التي يتركها أصحابها بعد أن تتعطل ولا تعود صالحة للاستعمال. وكان الحداد يقوم بتقطيع كتل الحديد وتشكيلها حسب الطلب مستخدماً طرقاً بدائية مرهقة تعتمد أساساً على قوته البدنية ومهارته وصبره. إذ لم يكن الأوكسجين يستخدم لإذابة الحديد بل كان الحداد يستخدم حرارة "الكور" لتليين الحديد أو صهره ومن ثم تشكيله إلى المنتج المطلوب بواسطة المطرقة والمفراص. وقد بدأ الحديد يصل إلى الكويت كمادة خام بأنواعه المختلفة وبكميات تجارية من أوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية حيث بدأت البواخر بجلبه من هناك بأشكاله المختلفة ومنها المبروم بأنواعه والأسياخ والزوايا والصفيح (البليت) و(البيم) بعد أن كان السكراب يشكل المادة الخام الرئيسة المستخدمة في الإنتاج [2].

وينتج الحدادون بعض المنتجات حسب طلبات عملائهم بينما يقوم البعض منهم بصنع المنتجات الرائجة في وقت فراغه استعداداً للموسم. ومن هذه المنتجات المسامير الكبيرة المستخدمة في صناعة السفن التي يزداد الطلب عليها قبل موسم السفر وموسم الغوص. ويعمل الحداد طوال العام تقريباً لكن العمل يزداد قبل وأثناء موسم السفر والغوص لحاجة الأبوام لاستبدال بعض القطع كالمسامير مختلفة الأحجام والباورات وغيرها؛ لذلك يزداد العمل في أثناء فترة الخريف والربيع اللتين تسبقان موسمي السفر والغوص، أما في الشتاء وفي أثناء فترة الركود فيقوم بعض "الشريطية" وأصحاب محلات بيع المسامير المستخدمة في السفن، بالطلب من الحدادين صناعة مختلف أنواع المسامير لحسابهم الخاص بأسعار منخفضة نوعاً ما لبيعها في الموسم على القلاليف وأصحاب السفن.

ويتوجه الحداد إلى عمله بعد صلاة الفجر مباشرة للاستفادة من انخفاض درجة الحرارة وتخفيف حدتها عليه في أثناء العمل. وبعد شروق الشمس بساعتين أو ثلاث ساعات - أثناء فترة الضحى - يتناول الحداد الريوق (الفطور) في فترة الاستراحة التي يكون قد أنجز قبلها جزءاً كبيراً من العمل، ثم يعاود عمله إلى أذان الظهر، ويتكون الإفطار عادة من الخبز والتمر. ويبقى بعض الحداده في محلاتهم في أثناء فترة الظهيرة في الفترات التي تشهد زيادة العمل في أثناء الموسم وذلك لإنجاز أكبر كمية ممكنة منه، ليعودوا قبل أذان المغرب إلى بيوتهم، بينما يفضل البعض الآخر قضاء وقت القيلولة في المنزل ليعود بعد صلاة العصر ويستمر في العمل إلى ما بعد صلاة العشاء.

(١) من مقابلة مع السيد عبدالحميد عباس جراغ الحداد
(٢) المصرة نفسه.

ويسلي الحداد نفسه أثناء العمل ببعض الأغاني التي يرددها مع مساعديه أو جيرانه من الحدادين الآخرين لتمضية الوقت وتخفيف قسوة العمل عليهم. وهناك أغان خاصة بهم يحفظها الحدادون وينشدونها بألحان تتناغم وتتماشى مع ضربات المطارق على السندانة، والتي هي أساس عملهم. ويلعب الأستاد دوراً رئيساً في تنظيم و"تقسيم" ضربات المطرقة على السندانة في أثناء الغناء هو ومن حوله من الأستادية في المحلات المتجاورة، ويطلق على تلك الضربات "الترنيع"، حيث "يرنّع" الأستاد ويساعده في ذلك الضرّاب. ومن الأغاني التي اعتاد أن يرددها الحدادة - بعد أن يصلوا على النبي وآله ويدعون الله "الفتّاح" "الرزاق" بالتوفيق - هذه الأبيات :

يـا مرْجي السفن بالميـــزان راميها	وطْراد خيـل العدا بالهيج راميـــهـا
لا ترمي المحصنة يـا ويـل رامـيهـا	اخشى العقوبة وراقب للإله وخـاف
والسر كتمه بصدرك لا تبيحه خاف	احذر من جاهل مغرور وعقله جاف

كما يتبادل بعض الأستادية المتجاورون أبيات الشعر حيث ينشد أحدهم قصيدة ويجيبه جاره بالأبيات المكملة لها وهكذا [1].

ويأخذ كثير من الحدادين أبناءهم الصغار معهم للدكان ولم تتجاوز أعمارهم عشر سنوات لتدريبهم على الحرفة. ويبدأ الصبي فترة التدريب بتنظيف المحل وإزالة الرماد من الكور وتكسير الفحم الحجري وتجهيزه للاستعمال. وبعد فترة يتحول إلى "نفّاخ" ثم يبدأ بضرب الحديد ليصبح "ضرّاباً" وهي الرتبة التي تسبق رتبة الأستاد، وقد يبقى فيها لسنوات عديدة. ومع مرور الزمن يكتسب الضرّاب الخبرة شيئاً فشيئاً من الأستاد فيبدأ بالاعتماد على نفسه في تشكيل القطعة ومعرفة طريقة وضعها على السندانة ومستوى وشدة ومواقع الضربات في كل مرحلة من مراحل العمل إلى أن يصبح أستاداً في الحدادة. ويتفاوت الأستادية في مهارتهم وإتقانهم للعمل وتطويره والإبداع في جودة الإنتاج حسب اجتهاد كل منهم، لذلك برز عدد من الحدادين الذين اشتهروا بجودة منتجاتهم وإتقان صنعها، إذ أن هناك بعض المنتجات التي تحتاج إلى مجهود كبير لإنجازها ومنها المسامير "المقبية" التي تستخدم في صناعة الأبواب المزخرفة، بالإضافة إلى "الكليجات" و"الباورات" و"الأنجرات" التي تعتمد على الدقة في العمل والصبر وبذل مجهود كبير في سبيل إنجازها[2].

ومن الأعمال التي يقوم بها الحداد بين فترة وأخرى صيانة "الكور"، حيث يتم تنظيفه من بقايا الفحم والطين الذي يتساقط من جدرانه. كما يقوم بصيانة السندانة التي يتكون بوسطها "منخفض" يشبه الحفرة من شدة الطرق عليها، فتؤخذ إلى ساحل البحر حيث يتم بناء "كور" كبير هناك توضع بداخله وتوجه إليها

(١) من مقابلة مع السيد صالح علي الحداد.
(٢) من مقابلة مع السيد حسين علي الموسى الحداد.

النار الحامية لتلين ويسهل إصلاحها فيقوم الحداد ومساعدوه بضربها بالمطارق لتسوية سطحها ثم يتم تغطيسها بالبحر لتقسيتها تمهيداً للاستعمال. وتقسو السندانة بعد تعرضها للماء وهي ساخنة فتتحول إلى ما يشبه الفولاذ.

وقد عملت في مجال الحدادة في الكويت عائلات كثيرة وبرز عدد كبير من الحدادين المهرة الذين اشتهروا بدقة عملهم وجودة ومتانة المنتجات التي كانوا يصنعونها. واكتسبت تلك العائلات لقبها من المهنة التي زاولها عدد من أفرادها. وكان بعض الحدادين في الماضي يشتهرون بإنتاج المنتجات الدقيقة التي يصعب صنعها بالطرق التقليدية، ومن تلك المنتجات الباورات والكلبجات والأقفال التي انفرد عدد محدود من الحدادين في الكويت بإنتاجها. ويروي أحد الحدادين السابقين عن جده[1] أنه كان يصنع "الكلبجات" لتقييد اللصوص والمجرمين الذين يتم القبض عليهم في عهد الشيخ مبارك الصباح والشيخ سالم المبارك. وكان إذا ما تم القبض على اللص يؤخذ إلى المحل مباشرة لتوضع "الكلبجة" في رجليه ويحول إلى السجن. و" الكلبجة "عبارة عن حلقة تصنع من قضيب من الحديد تبلغ سماكته حوالي ١٤ مليمتر توضع على السندانة بعد تسخينها ويتم ضربها بالمطرقة وهي بيد اللص أو رجله دون أن يمسه أذى، فتنغلق ويصعب فكها.

ويروي السيد عبد الحميد عباس جراغ الحداد عن جده جراغ الحداد أنه تم القبض في إحدى المرات على أحد اللصوص في عهد الشيخ سالم المبارك الصباح فأحضر إلى المحل وصنعوا له كلبجة تم تقييده بها وأخذ للسجن. وبعد حوالي شهر أمر الشيخ سالم المبارك بتسفيره إلى البصرة من حيث جاء، فأرسل إلى هناك بأحد الأبلام وهو مقيد بالكلبجة برجليه. فأعيد بعد أسبوع إلى الكويت من هناك وهو لايزال مقيداً بالكلبجة حيث لم يستطع أحد من الحدادين في البصرة فك الكلبجة من رجليه بطريقة فنية لا تؤدي إلى إيذائه. فأحضر إلى محل المرحوم الحاج جراغ الحداد الذي قام بفكها بسهولة ثم أعيد إلى بلاده. ويتم فك الكلبجة بوضعها على السندانة وتسليط طرف "قلم الحديد" على المكان الملحوم منها وضربها بطريقة فنية معينة فتفتض.

وكان المرحوم جراغ الحداد فناناً في صنع الجداديم (ومفرده جدوم) والمسامير الكبيرة للأبواب والحلقات (الصنقل - أي السلاسل) والأدوات المعقدة والدقيقة التي يستخدمها الحدادون والصفارون "كالناي" والسندانة وغيرها. كما كان هو والمرحوم علي الموسى الحداد من بين الحدادين القلائل الذين يصنعون الباورات الكبيرة لسفن السفر حيث كان يحفر لها "كورة" خاصة لتسخين الحديد المربع السميك الذي تصنع منه الباورات. ويذكر عنه أنه كان لديه سندانة خاصة جلبها من الهند كان طولها يزيد على المتر لاستخدامها في صناعة الباورات.

---

(١) من مقابلة مع السيد عبد الحميد عباس جراغ الحداد.